الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الثقافة
ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته

المسكن التقليدي

الهندسة المعمارية و العرف
بالقطاع المحمي لوادي ميزاب

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الثقافة
ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته

المسكن التقليدي

الهندسة المعمارية و العرف
بالقطاع المحمي لوادي ميزاب

1435هـ / 2014م

المحتويات

- مدخل 5
- مقدمة 6
- تصميم المسكن ومكوناته 7
- الاستعمالات النفعية في المسكن 16
- نموذج من مساكن القصور والواحات 21
- مواد وتقنيات البناء 27
- ملحق من العرف المحلي في العمران 30

مدخل

تتميز منطقة وادي ميزاب بمناخ صحراوي و طبيعة جغرافية كثيرة المرتفعات و الانحدارات تتخللها العديد من الشعاب، لذلك كان اختيار بناء القصور فوق قمم الهضاب مراعاة لمجاري المياه، و حفاظا على الأراضي الزراعية النادرة، و حرصا على التوجيه المناسب الذي يضمن الحد الأدنى من الكسب الشمسي صيفا ومن الضياع الحراري شتاء، والحماية من الرياح السائدة التي تعصف بالمنطقة في فترات مختلفة من السنة.

لقد كان المعمار التاريخي في ميزاب استجابة حقيقية لحاجيات المجتمع الفطرية و انعكاسا مباشرا لنمط حياته و طبيعة نشاطاته و مستلزمات بيئته و ذلك ضمن منظومة المجتمع الفكرية وإطاره الطبيعي، لذلك فإننا لا نكاد نجد جزئية في هذا المعمار لا تؤدي وظيفة معينة أو ترمز إلى هدف ما.

مقدمة

لقد اهتم العديد من الباحثين والمهندسين المعماريين بموضوع السكن التقليدي بوادي ميزاب ومنهم على سبيل المثال: الدكتور ابراهيم بن يوسف في كتابه: « Espace et société » والباحث المصري أسامة النحاس صاحب كتاب: « عمارة الصحراء »، والمهندس المعماري أندريه رافيرو صاحب كتاب «Le M›zab, une leçon d›architecture». والمؤلف كلود بافار صاحب كتاب: «أضواء على ميزاب» حيث قال:»تتخذ الدار أحسن ملجإ لأنها مأوى الأسرة، و الأسرة هي حجر الزاوية عند المجتمع الميزابي، و بالرغم من أن الحياة الداخلية تبقى مقدسة»

إذن و باعتبار أن المسكن هو فضاء العائلة الخاص الذي يمثل مجال نشاطاتها و إطار علاقاتها، و باعتبار كذلك وجوب خضوع هذه النشاطات والعلاقات إلى منظومة المجتمع الخاصة به، فقد وقع الاهتمام بنمط المسكن و طريقة صياغة فضاءاته بشكل يتلاءم مع هذه النشاطات والعلاقات، ويضمن القيم والمبادئ التي يتمسك بها المجتمع.

تصميم المسكن و مكوناته

المسكن في وادي ميزاب يخضع في تخطيطه و هيكلته لأسس بناء المسكن المنتشر حول البحر الأبيض المتوسط عموما و في شمال إفريقيا على الخصوص، و ذلك باعتماده على فضاء يتوسطه ويهيكل مختلف الفضاءات حوله، إضافة إلى مجموعة من المبادئ و القواعد التي تتجلى في تصميم المسكن كاستعمال السقيفة التي تكسر اتجاه النظر محافظة على حرمة و سترة داخل المسكن، التوجيه المناسب للفضاءات لضمان أحسن استغلال لأشعة الشمس، التدرج والتسلسل في الانتقال من الفضاء العام إلى الفضاء الخاص، التكافل الاجتماعي الذي نلمسه من خلال مظاهر عديدة كاحترام حقوق الجار، البناء المتواضع، البناء قدر الحاجة، ...الخ.

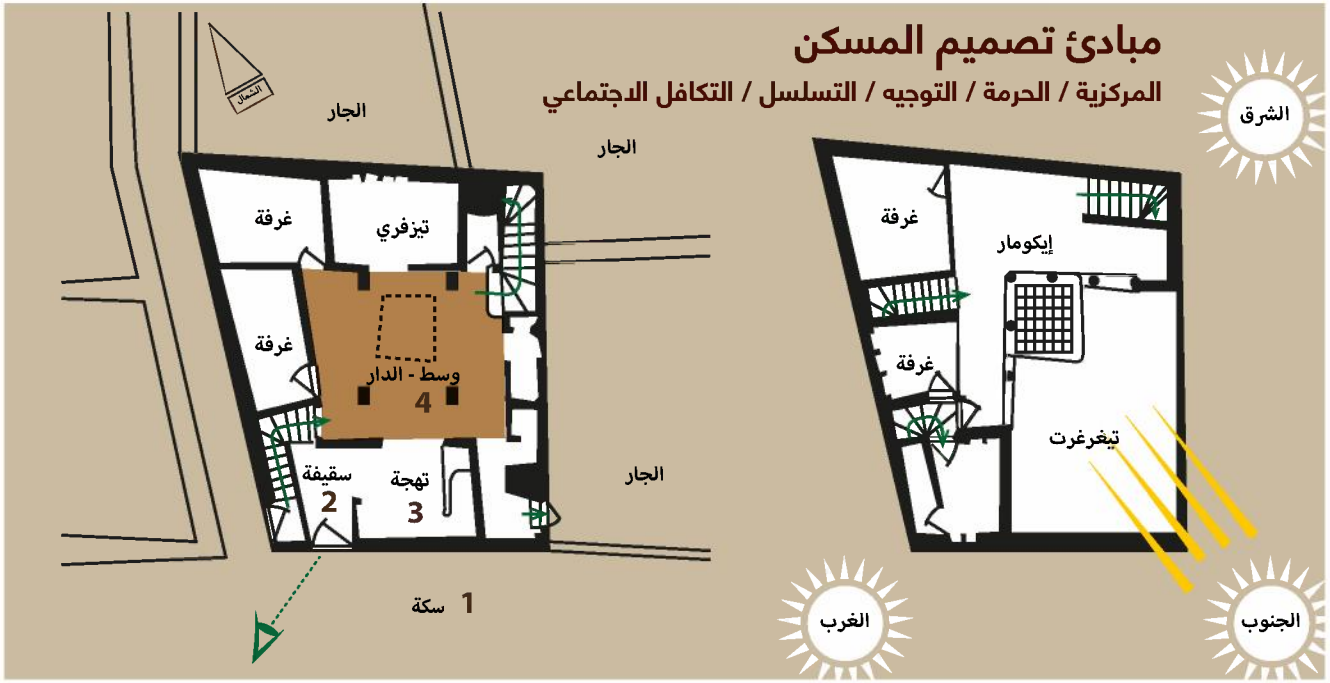

و تشترك كل المساكن مهما كان حجمها في عناصر أساسية تختلف في مقاييسها اختلافا طفيفا بين مسكن و آخر و تتوزع هذه العناصر بين الطابقين الأرضي و العلوي، و نادرا الطابق السفلي.

و إن مما يشد النظر ويلفت الانتباه في مساكن ميزاب تلك القيم الحضارية و الاجتماعية المتجسدة في المعمار نفسه بتصاميم بسيطة في أشكالها عميقة في دلالاتها، فالحاجة هي أساس كل بناء، إذ لا توضع مواد بناء إضافية لا تؤدي دورا أو تفوق مقاييسها الحاجة و الاستعمال، فكل الفضاءات في المسكن مستغلة و مستعملة بصفة دقيقة. و الفضاءات المكوّنة للمسكن تتمثل فيما سيأتي :

السقيفة (تَسْكِيفْتْ):

تأخذ السقيفة موقعها في زاوية المسكن، وهي تعتبر فضاءً فاصلا بين المسكن و خارجه، فبينما تحجب رؤية ما في المسكن من الخارج فإن السقيفة تكون مراقبة من الداخل بواسطة فتحة تكون عادة بينها و بين فضاء تـزفري أو وسط الدار. كما أن للسقيفة دور العزل الصوتي بين داخل السكن وخارجه، وتؤدي أيضا دور فضاء الانتظار لمن يطلب الإذن بالدخول.

و للسقيفة دور مناخي مهم إذ تساهم في تهوئة المسكن. و باب المدخل في السقيفة كبير الحجم نظرا لاستعمالاته الكثيرة، وأمامه العتبة التي ترتفع بحوالي 10 سنتيمترات ممثلة الحاجز و الخط الفاصل بين الفضاء العام الذي هو الطريق والفضاء الخاص الذي هو المسكن، إضافة إلى دورها في حماية المسكن من تسرب مياه الأمطار، الهواء البارد في الشتاء، انتشار الأتربة، كما أنها تعتبر حاجزا مانعا لدخول الزواحف والحشرات السامة التي لا تخلو منها المناطق الصحراوية.

رواق مدخل الدار (تَهْجَة):

فضاء انتقالي بين السقيفة و وسط الدار يستغل للقيام ببعض النشاطات كتثبيت الرحى في ركن منه، و أحيانا يستغل هذا الفضاء لحرفة المنسج نظرا للهواء المنعش الذي يمر به خاصة في فترات الحرارة.
وهو مكان مناسب لوقوف الدابة حال إنزال الحمولة من الحطب والمحاصيل الزراعية ودلاء الماء.... الخ، وكل هذا بمعزل عن وسط الدار.

غرفة الاستقبال للرجال(لَعْلِي):

هذه الغرفة لها اتصال مباشر بالسقيفة وهي مخصصة أصلا للرجال دون النساء، و تكون عادة في الطابق العلوي بحيث تكون معزولة عن فضاء النشاط اليومي للنساء، و لها مدخل ثاني يجعلها على اتصال مباشر مع الوسط الداخلي للمسكن.

وسط الدار(أَمَّاسْ انْتِدَّارْ):

يعتبر وسط الدار الفضاء المركزي و الرئيسي في المسكن، من حيث شكله ومقاييسه وتوزيعه و هيكلته لمختلف الفضاءات حوله، إضافة إلى كونه شبه مغطى إلا من خلال فتحة الشباك التي تساعد على الإضاءة و التهوئه.
وفيما يخص استعمالاته فإنه يعتبر فضاء تحصل فيه جل النشاطات المنزلية كالطبخ الذي يكون عادة في زاوية من المنزل، المنسج الذي يحتل عادة فضاء معتبرا منه كأحد أهم نشاطات المرأة، ...الخ.

المطبخ (إِنَّايَنْ):

لا وجود للمطبخ داخل المسكن بوادي ميزاب قديما كفضاء خاص مستقل بالمفهوم المتداول حاليا، و إنما يقتصر فقط على موقد يختار لموقعه زاوية في وسط الدار بشكل تستطيع المرأة من خلاله مراقبة كل ما يحدث داخل المسكن والمدخل بصفة خاصة، وفي العرف المحلي يمنع عند إنشائه إسناده إلى حائط الجار إلا بموافقته، كما تجدر الإشارة إلى وجود موقد في الطابق العلوي فوق الموقد الأرضي مباشرة لاستعماله في فصل الصيف.

غرفة المؤونة (الحُجْرَتْ):

تكون في الغالب بين المطبخ وسلّم الدرج غرفة صغيرة بها مشاكي حائطية لحفظ المؤونة وتخزين التمور.

غرفة الاستقبال للنساء (تِزَفْرِي):

هي غرفة مخصصة للنساء، فيها يجتمعن و ينجزن أشغالهن، ويقمن بنسج الزرابي والمنتجات النسيجية التقليدية، مدخلها يكون عادة عريضا نوعا ما، ومتجه نحو القبلة أو الجنوب الغربي للاستفادة أكثر من الضوء الطبيعي.

الغرف (تِزَقْوِينْ):

تُخصّص غرف الطابق الأرضي عادة للوالدين و الأولاد، بينما تخصص غرف الطابق الأول للأزواج الجدد لما في ذلك من استقلالية و راحة نفسية لهؤلاء، و الغرف في المسكن التقليدي بوادي ميزاب بسيطة مقاساتها صغيرة أحجامها، لا يكثر فيها استعمال الأثاث و إنّما بنيت كوات ورفوف لذلك وثبتت على الجدران مشاجب خشبية لتعليق الثياب والأغراض.

الدرج (تِسُونَانْ):

يمثل فضاءً انتقاليا للربط بين الطوابق و غالبا ما يكون في الناحية الشمالية من المسكن حتى لا يحجب أشعة الشمس عن فتحة الشباك.

رواق السطح (إِيكُومَانْ):

فضاء مسقف مفتوح نحو السطح بواسطة سلسلة من الأقواس المتجهة نحو الجنوب الغربي و الجنوب الشرقي لضمان الاستغلال الأمثل لأشعة الشمس في فصل الشتاء، حيث يكون هذا الفضاء معرضا لأشعة الشمس طيلة النهار تقريبا، في الفترات المعتدلة من السنة تحوّل إليه جل الأنشطة كالنسيج و الغزل و ...، و يعتبر أيضا فضاء انتقاليا بين الغرف والسطح.

السطح (تِغَرْغَرْتْ):

باعتبار أن وسط الدار في الطابق الأرضي غير مفتوح كلية، حيث تقتصر فتحته على شباك أفقي، وباعتبار قلة الفضاءات المسقوفة في الطابق العلوي فإن ذلك يوفر مساحة كبيرة غير مغطاة تستعمل طيلة السنة، نهارا خلال الشتاء وليلا خلال الصيف.

الفضاء الصحي :

يوجد الفضاء الصحي الذي يتمثّل في المرحاض والحمام في الطابقين الأرضي و العلوي وفي مستوى عمودي متراكب لتسهيل عملية جمع الفضلات و تصريف المياه، و يتميز هذان الفضاءان بمحدودية مساحتهما وانعدام الباب عادة، لأن شكلهما المعماري صمّم بطريقة تحجب النظر من الخارج إلى الداخل. و تبعا لندرة الماء في المنطقة الصحراوية فإن استعماله يخضع لعدم الإسـراف و التبذير و الاكتفاء بالحاجة فقط. ولذلك نجد الرطوبة في الجدران تكاد تكون منعدمة تماما عكس بعض المساكن الموجودة في شمال إفريقيا، و رغم ذلك فقد منع إسناد المرحاض والحمام إلى حائط الجيران تجنبا للضرر.

السطح العلوي (تَمْنَايْتْ):

مساحة مفتوحة فوق الفضاء المغطى من الطابق الأول تقضي فيه الأسرة ليالي الصيف.

الفناء :

فضاء خاص بمساكن الواحات، حيث تتوفر الظلال و هو مصدر التيارات الهوائية المحلية المحملة برطوبة مياه السقي و المنعشة للفضاءات الداخلية التي تمر بها خاصة وسط الدار. و هو الفضاء الذي يتم استغلاله بشكل كبير في فصل الصيف.

رواق الفناء (السَّبَاطْ):

عبارة عن فضاء مسقوف ومفتوح نحو الفناء بواسطة سلسلة من الأقواس، تمارس فيه العديد من النشاطات المنزلية في فصل الصيف كالنسيج و الغزل، و أحيانا يتّخذ في زاوية منه موقدا أو مكانا للرحى.

فضاءات أخرى:

إضافة إلى الفضاءات المذكورة، و باعتبار أن وسيلة النقل الوحيدة قديما هي الدابة، فقد حدد لها فضاء خاص عبارة عن مربط بجانب السقيفة يكون مدخله في الغالب مباشرة من السكة، و هذا حرصا على الفصل بينه و بين وسط المسكن لعدم تجانسهما فيما يخص مميزات كلا منهما، كذلك إلى جانب هذا المربط غالبا ما نجد فضاء لإيواء الماعز لما له من أهمية اقتصادية للأسرة،هذا فيما يخص مساكن القصور أما في حالة مساكن الواحات فتكون مرابط الدواب في زاوية من الفناء بعيدا عن فضاء العيش، و قد خصص لكل قصر راع يسوق الماعز إلى المراعي طيلة النهار. كما يوجد في بعض المساكن طابق سفلي (تَمَضْمُورْتْ) يكون عادة جزئيا استغلالا للفراغ الناتج عن طبيعة الأرضية الصخرية المنحدرة.

الواجهات

عبارة عن واجهات صماء خالية من أشكال الزخارف و النقوش، بل إنها لا تعدو أن تكون حيطانا عادية متساوية في الارتفاع، و لا تظهر عليها إلا الأبواب الخشبية للمساكن مع بعض الفتحات الصغيرة الموجودة في الطوابق العلوية.

الأحجام

أحجام المساكن في ميزاب مختلفة في أبعادها الأفقية و متماثلة في بعدها العمودي، و ذلك لاختلاف المساحة من مسكن لآخر شساعة و صغرا حسب حاجة أصحابها و إمكانياتهم المادية، إضافة إلى طبيعة تضاريس الأرضية التي تحدد شكل القطع الأرضية لبناء المساكن، و أبعاد الفضاءات داخل المساكن مصممة على حسب مقاسات الإنسان و احتياجاته، أما العلو الخارجي للمساكن فمستند إلى مبدإ البناء قدر الحاجة و عدم التطاول في البنيان و التكافل الاجتماعي بين طبقات المجتمع.

وفيما يخص التوزيع و التنظيم للوحدات السكنية داخل النسيج العمراني و مقدار ارتفاعها فيوجد اختلاف كبير بين مساكن القصور و الواحات. فالنسيج العمراني للقصور كثيف و متراص وملتفّ حول الهضبة التي أنشئ عليها انطلاقا من المركز المتمثّل في المسجد على القمّة نزولا إلى السفح حتى الالتقاء بالأسوار مما يعطي للقصر منظرا شاملا يوحى بالترابط و التلاحم و الوحدة، بينما في الواحات نجد النسيج العمراني المفتوح بحيث تتوزّع المساكن و تنتشر وسط الحقول والبساتين و تختفي تحت الغطاء النباتي الكثيف كإقامات موسمية لقضاء فترة الصيف مما يعطي للواحات مناظر بانورامية يغلّفها الاخضرار دلالة على وظيفتها الرئيسية كمناطق فلاحية و غابية.

كما تستخلص العديد من الحلول المناخية أثناء الاستقراء لأحجام المساكن من حيث العلو الداخلي للفضاءات و العلو الخارجي لمجمل المساكن، الأشكال الهندسية لأحجام المساكن، التخطيط و كيفيات توزيع المساكن بين القصور و الواحات، تصميم الفتحات في الحجم العام للمسكن من خلال مقاييسها و أشكالها و أماكنها، اختيار التوجيه المناسب لمختلف فضاءات المسكن، ... الخ.

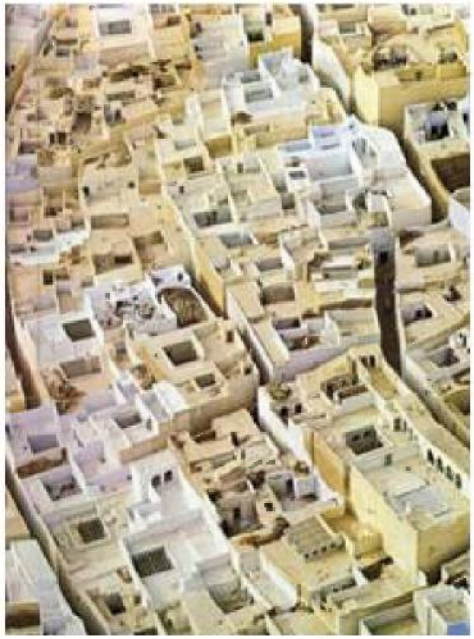

الاستعمالات النفعية في المسكن

الاستعمالات النفعية في المسكن

نتعرّف من خلال هذا الفصل على أهمية التقنيات و الممارسات المحلية لتكييف الأجواء داخل المساكن و الاحتماء من التقلبات المناخية من فصل لآخر و إيجاد حلول لمتطلبات الحياة اليومية للمسكن بكل راحة و رفاهية باللجوء إلى وسائل طبيعية بسيطة و غير مكلّفة و التي هي في متناول الجميع و تعتبر تجسيدا لمفهوم التنمية المستدامة. من خلال استغلال مواد البناء المحليّة، أشعة الشمس، التيارات الهوائية، ...الخ، و بتسخير المجهود الفكري و المادي للإنسان في ظل انعدام التكنولوجيا الحديثة.

الماء : الماء الصالح للشرب يجلب من الآبار ذات المياه العذبة المتواجدة في مجـــــرى الوادي أو الواحات، أما مياه الاستعمال اليومي للغسيل فتجلب من مختلف الآبار المنتشرة في القصور والواحات و على طول مجرى الوادي، و تستعمل لجلب الماء أدوات مختلفة كالدلاء والحبال لاستخراج المياه من الآبار و ذلك بالاستعانة بالدواب أو بدونها، ثم تأتي القِرب و الأواني الحديدية أو الفخارية لنقل الماء إلى المساكن و في المسافات البعيدة تستعمل الدواب لحمل الماء، أما داخل المساكن فيتّخذ عادة حوض حجري «أغزو وّمان» في وسط الدار لغسل الأواني مزوّد بما يعرف بـ«السّاجل» عبارة عن حجر أسطواني منحوت يوضع عليه إبريق الماء، و في مغاسل المساكن تستعمل الأباريق للاستحمام.

الصرف الصحي :

إن استعمال الماء في المساكن مرتكز على مبدإ الاقتصاد و تجنّب الإسراف التزاما بتعاليم الدين الحنيف، ومراعاة لصعوبة جلب المياه إضافة إلى وجوب التقليل قدر الإمكان من مياه الصرف تفاديا لانتشار الرطوبة لعدم وجود شبكة الصرف، فتتّخذ في مسكن القصر بئر صغيرة عبارة عن حفرة بسيطة لامتصاص مياه الصرف بينما في الواحة تصرف مياه الغسيل مباشرة إلى الأحواض في الفناء، أما عند الحاجة لغسل الملابس أو الصوف مثلا فيكون الغسل في حوض البئر «أسفّ» أثناء زجر الماء و تصرف مياه الغسيل مباشرة للسقي فلم تكن تستعمل مواد كيميائية ضارة للنبات كالصابون و الجافيل و لكن تستعمل بعض المواد الطبيعية للتنظيف بكيفيات معيّنة مثل الليمون أو إحدى أنواع الطين المعروفة للغسيل. أما المراحيض فلها حفر لتجميع الفضلات لاستعمالها في تسميد الأراضي الفلاحية.

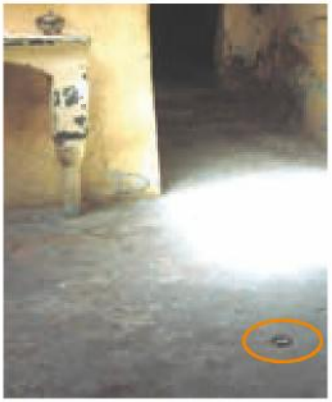

تصريف مياه الأمطار:

فيما يخص تصريف مياه الأمطار تتّخذ الميازيب على الواجهات لتصريف مياه السطوح إلى المسالك، وتكون هذه الأخيرة منحدرة نحو الوادي، أو مزوّدة بأنفاق للتصريف. و بالنسبة للمساكن الموجودة داخل الدروب و ليس لها واجهات فإنّ مياه الأمطار تصرف عبر سطوح الجيران حتى تصل إلى المسالك.

الإنارة : يراعى في تصميم المسكن الاستفادة من أشعة الشمس لتحصيل فوائدها الصحية وتوفير الإضاءة الطبيعية في النهار، بينما في الليل تسرج فتائل مصابيح الزيت التي تعلّق في نقاط مختلفة من المسكن أو تخصص لها كواة في الجدران و لا يطول استعمالها اقتصادا في الطاقة.

التدفئة و التبريد : يستعمل الحطب للتدفئة و الطبخ، فالمدخنة تبنى في زاوية من وسط الدار ويبنى إلى جانبها «باجو» عبارة عن تجويف لوضع الحطب المخصص للاستعمال اليومي بينما حزم الجريد وأكداس الحطب فتوضع على السطوح أو تخزّن في الواحات لجلبها تدريجيا عند الحاجة، وللحطب قيمة خاصة إذ يعتني بتصفية النخيل من الأجزاء الجافة و بتقليم الأشجار في أوقاتها ويخزّن ما تجود به من الخشب لوقت الحاجة كما تصفى بساتين الواحات دائما من الأخشاب المتناثرة إضافة إلى جلب بعض الحشائش الصحراوية لاستعمالها كوقود للتدفئة، كما تخصص أماكن معيّنة لبيع الحطب بأنواعه.

أما فيما يخص التبريد و تكييف الأجواء في الفترات الحارة من السنة فيُلجأ إلى حلول طبيعية كمفعول المدخنة الذي يسمح بإيجاد تيارات هوائية محلية لتلطيف الأجواء الداخلية، و يتم ذلك بفضل فرق الضغط بين السطوح الساخنة المعرّضة للشمس و المسالك أو الأفنية المظللة فتدخل المسكن تيارات هوائية باردة من الباب الخارجي و تدفع الهواء الساخن عبر فتحة الشباك في السقف و تكون هذه التيارات الهوائية المحلية منعشة أكثر إذا كانت محمّلة بالرطوبة من مياه السقي أو قربة الماء المعلّقة في السقيفة، وللتبريد أيضا نجد كثرة الفتحات التي تسمح بتجديد الهواء في مساكن الواحات، و

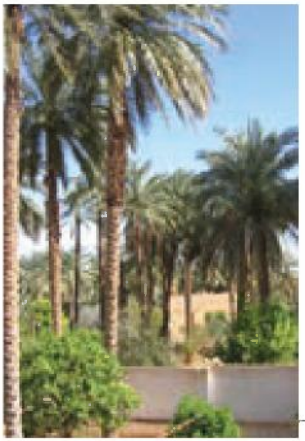

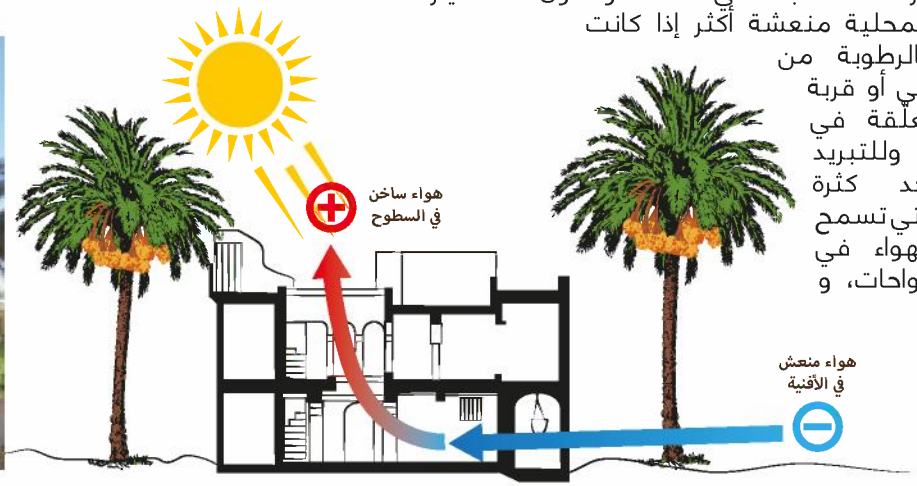

أحيانا وجود بعض السواقي التي هي عبارة عن أنفاق تحت المساكن تمر عبرها مياه السقي و الغدير، كذلك الارتفاع المحدود للمساكن يحميها من أشعة الشمس لاختفائها تحت ظلال النخيل الباسقة و الأشجار الوارفة المندمجة مع بناء المسكن و محيطه.

و يأتي استعمال مواد و تقنيات البناء المحلية كحل بيومناخي لتوفير التدفئة شتاء و التبريد صيفا بفضل خاصّية التوصيل الحراري البطيء الذي تتميّز به مواد البناء المحلّية و مفعول الكتلة الذي توفّره الجدران و السقوف السميكة

حالة الشتاء

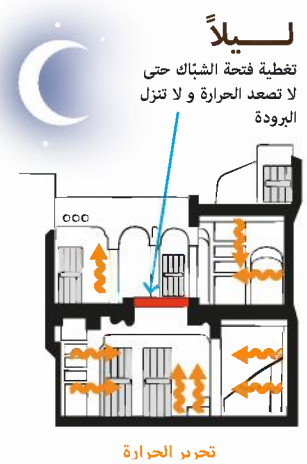

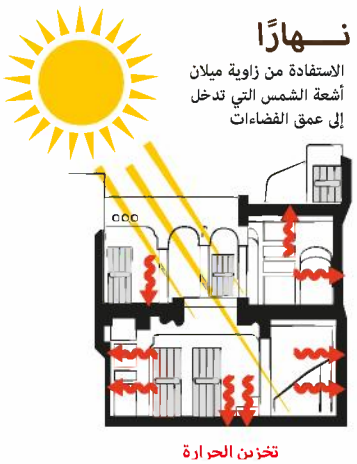

حالة الصيف

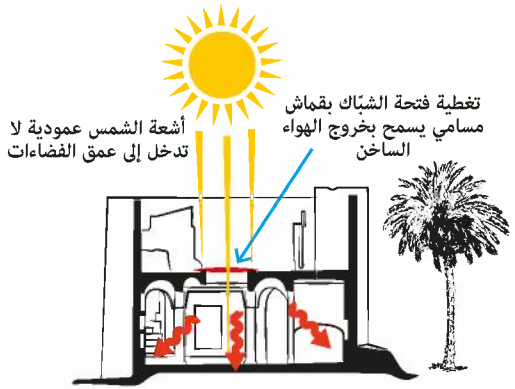

الأثاث : لا يوجد في المسكن إلاّ بعض الأثاث البسيط كالمستلزمات السعفية من قفاف ومظلاّت...الخ، وبعض الأواني الفخارية المختلفة الأشكال و الأحجام، و ما عدا ذلك فإن الأثاث مندمج مع بناء المسكن و داخل في تصميماته ممّا يضفي على المسكن مسحة جمالية فريدة من نوعها فمن ذلك نجد الكوات داخل الجدران، المشاجب الخشبية لتعليق الملابس و الأغراض، الرفوف من التمشمت، المشاكي الحائطية للتمور و أخرى للحطب...الخ.

نموذج من مساكن القصور والواحات

مسكن تقليدي في القصر

جناح المطبخ

الحجرة

مربط الدابة

وسط الدار

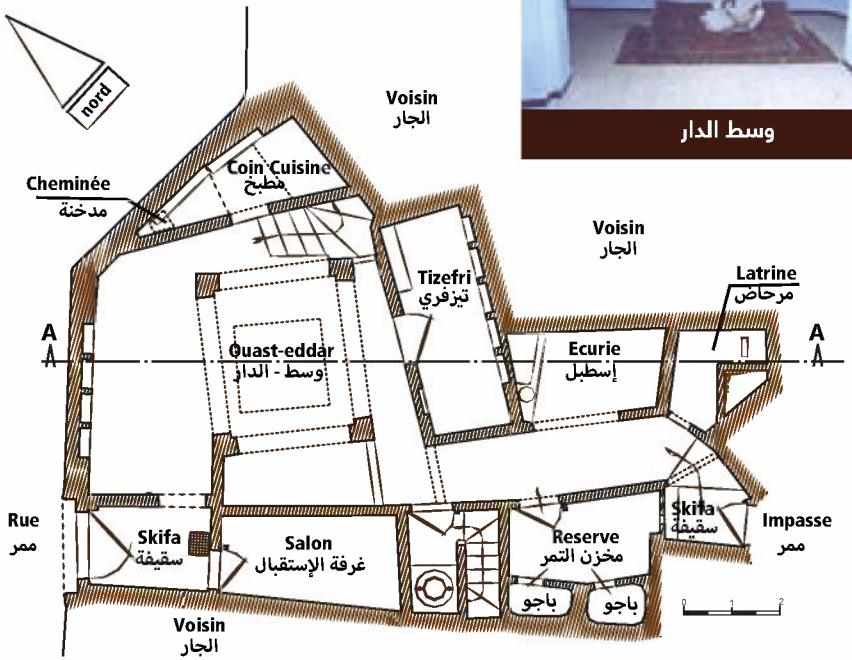

مخطط الطابق الأرضي

PLAN R.D.C.

تزفري

إيكومار مع تفرغرت

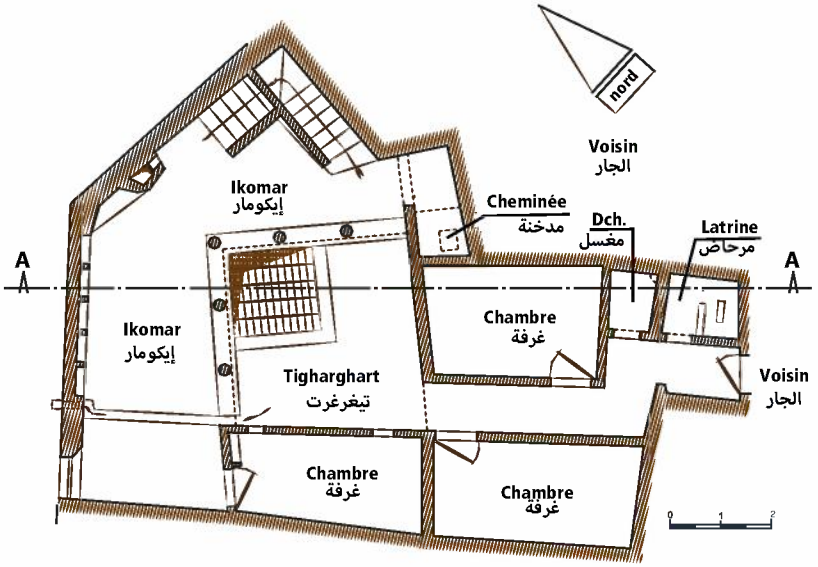

مخطط الطابق الأول

PLAN ETAGE

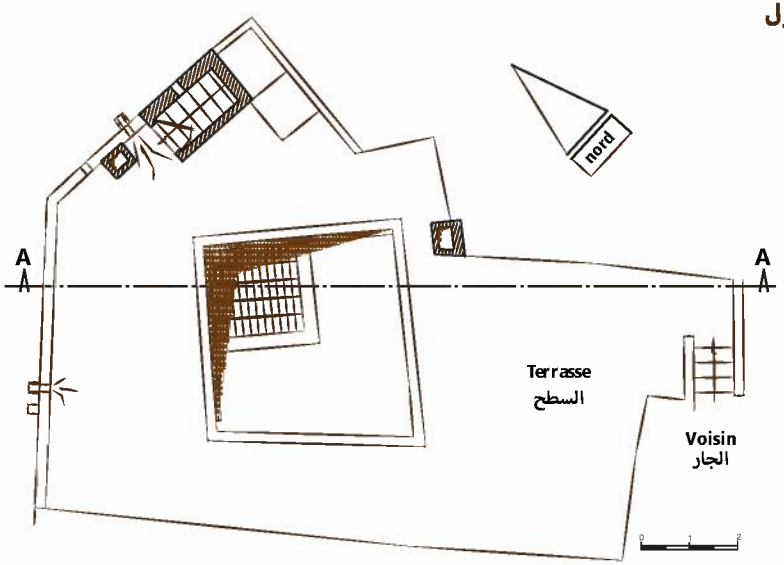

مخطط السطح

PLAN TERRASSE

السطح

مدخل المسكن

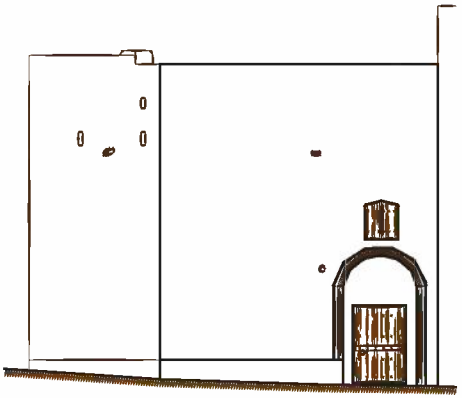

Façade
الواجهة

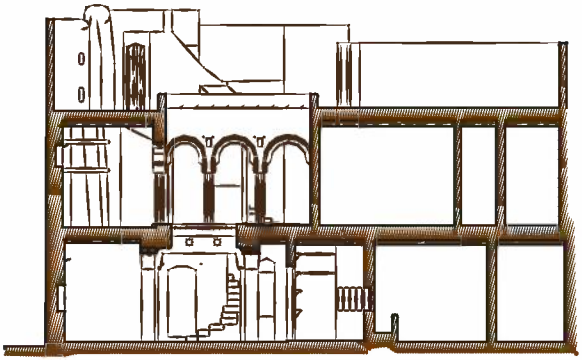

COUPE A.A.
المقطع أ.أ

الطابق السفلي

مخطط الطابق السفلي
PLAN SOUS-SOL

مسكن تقليدي في الواحة

وسط الدار

مدخنة

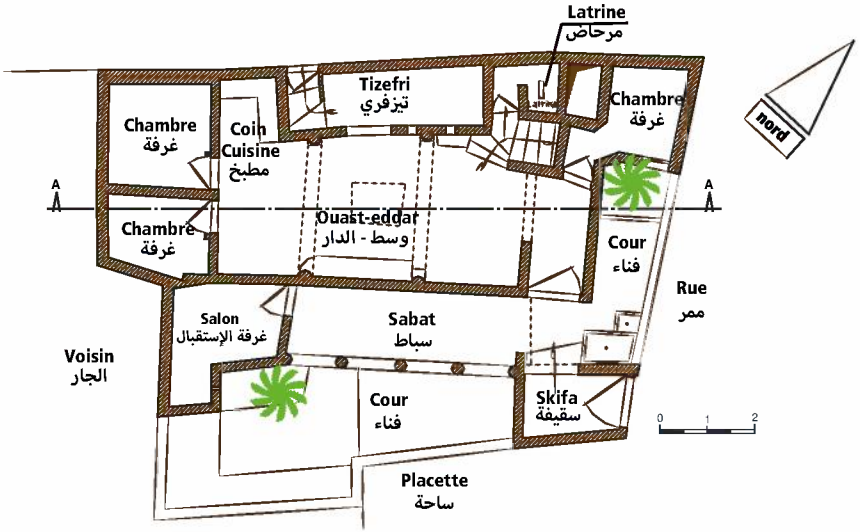

مخطط الطابق الأرضي

PLAN R.D.C.

السباط

فتحة شباك

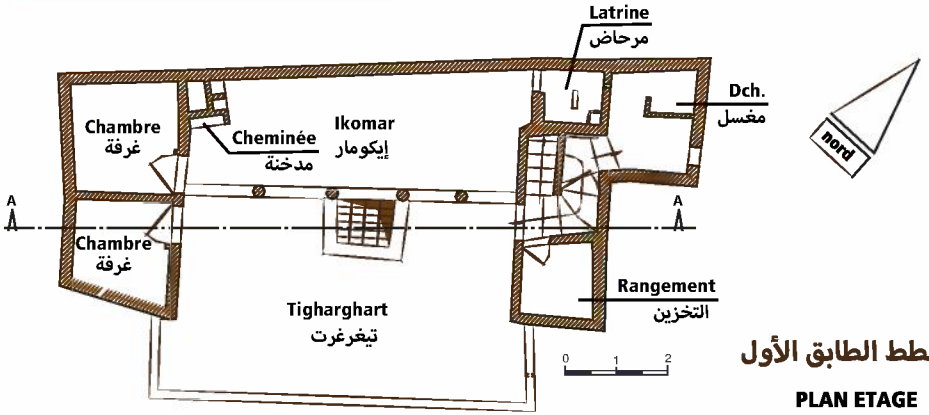

مخطط الطابق الأول

PLAN ETAGE

السطح العلوي

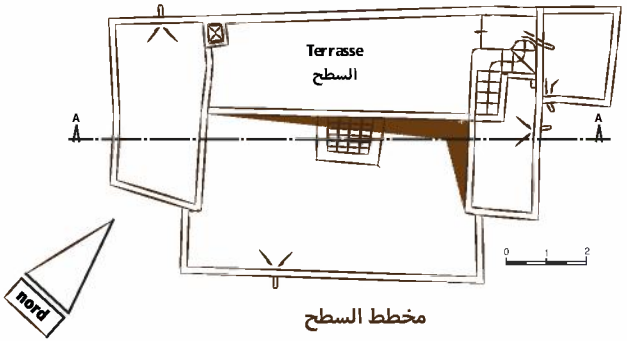

مخطط السطح

PLAN TERRASSE

الواجهة

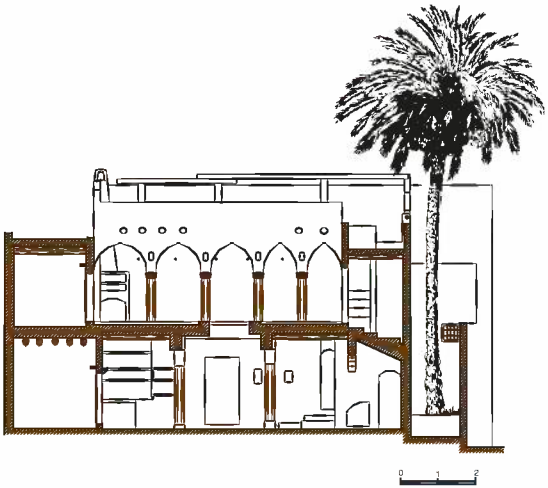

COUPE A.A.

المقطع أ.أ

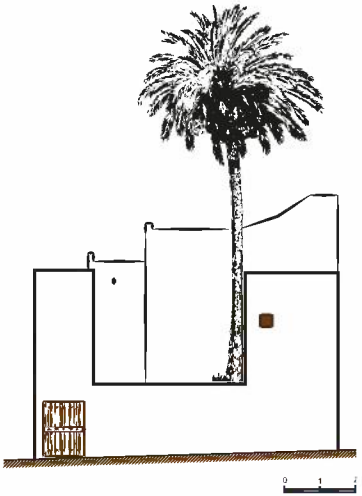

Façade

الواجهة الشرقية

مواد وتقنيات البناء

مواد و تقنيات البناء :

تم الاعتماد كلية على مواد البناء المحلية في مختلف مراحل البناء و ذلك لوفرتها و ما تتميّز به من خصائص ملائمة لمناخ المنطقة و طبيعتها، و تتمثّل هذه المواد بالخصوص في الحجارة،التمشمشت، الجير، الرمل، الطين، مشتقات النخل مثل الجذوع، الجريد، و الكرنب.

الأشغال الكبرى :

الأساسات :

تكون طولية تحت الجدران الحاملة، أو نقطية تحت الأعمدة. باستعمال الحجارة الكبيرة الحجم.

الهيكلة العمودية :

تعتمد على الجدران الحاملة المبنية بالحجارة و ملاط الجير أو التمشمت في حالة القصور، أو المبنية بالطوب في حالة الواحات، بالإضافة إلى الأعمدة (إيمودان) الحاملة التي تميّز فضاء وسط الدار والمنجزة من الحجارة.

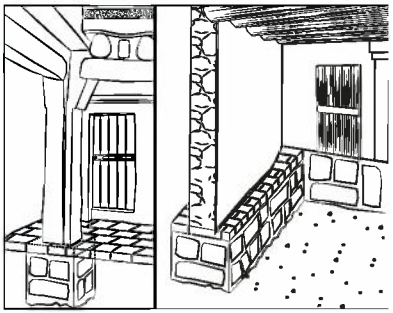

الهيكلة الأفقية:

تتمثل في السقوف لمختلف الفضاءات، و الأقواس في بعض الأماكن كالسباط و إيكومار، ونادرا القبو الأسطواني للطابق السفلي. بحيث تبنى الأقواس و الأقبية بالحجارة و التمشمت، وقد تستعمل سيقان الجريد الأخضر لإنجاز الأشكال المقوسّة ، بينما السقوف تتّخذ من جذوع النخل، فتوضع العوارض الرئيسية (النوارق) بين الأعمدة، ومنها إلى الجدران الحاملة توضع الجذوع الفرعية، و بين الجذوع توجد عدة تقنيات للتسقيف منها استعمال الجريد، الكرنب، الحجارة المسطحة، القبوات، ...، و فوقها تأتي طبقة العازلة الصحراوية.

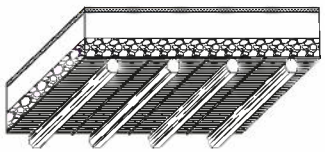

الأشغال الفرعية:

التلبيس:

يكون التلبيس بالجير أو الطين حسب نوع البناء، وأحيانا تترك الواجهات من غير تلبيس. ويكون سطح التلبيس أملسا أو خشنا حسب نوع المعالجة كالتسوية باليد، المصقلة، العرجون، ...

النجارة:

تصنع الأبواب من جذوع النخل، ونادرا ما تستعمل الأنواع الأخرى من الخشب، بالإضافة إلى بعض المعادن كالحديد و النحاس للأقفال و بعض المستلزمات. و تكون أبواب المداخل كبيرة الحجم نتيجة استعمالها المتواصل طوال النهار، خاصة وأنها تمثل مدخل الدابة التي عادة ما تكون محمّلة بالمحصول الفلاحي أو الحطب أو دلاء الماء، بينما أبواب الغرف صغيرة للاقتصاد في خشب النخل و لعلو العتبات عند مدخل الغرف للوقاية من الهوام الزاحفة و الحماية من التيارات الهوائية الباردة. كما نجد النجارة في صناعة بعض النوافذ الصغيرة و الخزائن الحائطية القليلة داخل المسكن.

معالجة الأرضية:

تستعمل عدة كيفيات لمعالجة الأرضيات منها التبليط بالحجارة المسطحة (مادون) أو الحجارة المنحوته، أو تترك الأرضية رملية على حالتها الطبيعية، و أحيانا تصقل الأرضية بالجير المحضّر على الطريقة التقليدية و هذا فيما يخص السطوح خاصة.

ملحق من العرف المحلي في العمران

مقدمة :

قال الله تعالى ((خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)) – الآية 199/الأعراف. يفسر العلماء العرف في هذه الآية بالنسبة لأحكام البنيان ، بما جرى عليه الناس وارتضوه ، ولم يعترضوا عليه، طالما لا يتعارض ذلك مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. والعرف يحتمل ثلاث معان بالنسبة للبيئة العمرانية كعادة أهل بلدة ما ، والمعنى الثاني للعرف ، أكثر تأثيرا من المعنى السابق ، وهو إقرار الشريعة لما هو متعارف عليه في العمران بين الناس عموما وبين الجيران خصوصا لتحديد الأملاك والحقوق ، أما المعنى الثالث للعرف فهو الأنماط البنائية ، وهو أكثر الأنواع الثلاثة تأثيرا في البيئة العمرانية ، فعندما يتصرف الناس في البناء بطريقة متشابهة يقال بأن هناك عرفا بنائيا أو نمط ما.
وفيما يلي نتعرّض لنماذج من العرف العمراني المتّبع في وادي ميزاب.

- المداخل :

هو ما يعرف محليا باسم «إيماون انتيدار» ، وخلافا لبقية المداخل داخل المسكن في وادي ميزاب نجد أن الباب الخارجي عادة ما يكون كبير الحجم ارتفاعا وعرضا. كل مداخل المساكن مصممة بشكل يحجب الأنظار إلى ما في الداخل، لذا نجد أنه قد استعين بالمدخل المنكسر «السقيفة».

يمنع أصحاب المساكن المتاخمة للسور من فتح مداخلهم نحو خارج القصر بل عليهم توجيه ظهور المساكن نحو الخارج لتشكّل بمجملها سورا دفاعيا للمدينة ، وفي حال شراء أناس لدار مهدمة فإنهم يبنونها وإن اختلفوا على موضع بابها يبحثون حتى يتبين لهم ، فإن وجدوا علامة بابها فإنهم يقتدون به، وإن لم يتبين فلينظروا أي موضع أصلح لهم فيجعلوه منه ، وإن اشتروا دارا فوجدوا لها بابين أو أكثر فدعى أحدهم إلى نزع بعض تلك الأبواب وأبى ذلك الآخرون فالرأي لمن دعا إلى إبقائها حيث كانت .

وفي حال الأبواب الجديدة فيمكن إحداثها حيث لا تضر بالجيران أو تقابل باب أحدهم .

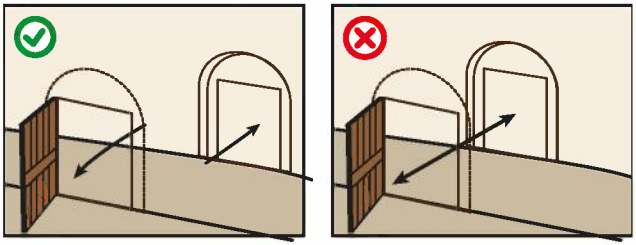
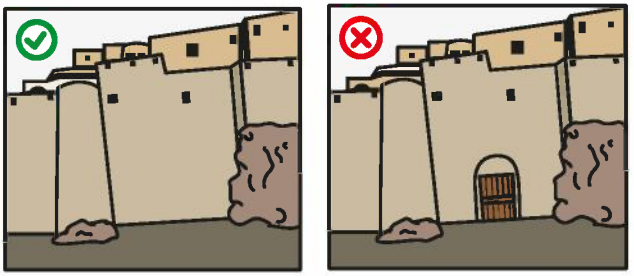
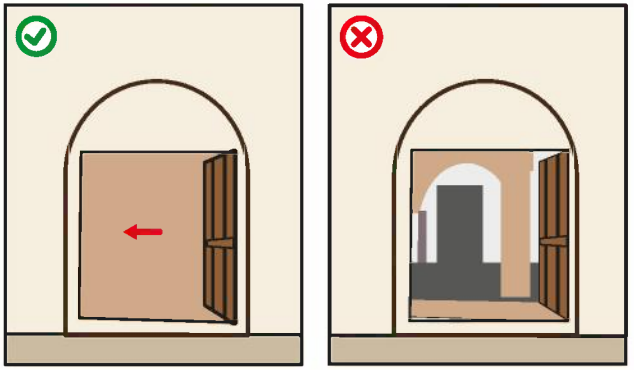

- العتبة :

للعتبة إلى جانب الدور الرمزي في حياة المجتمع الميزابي دور آخر لا يقل أهمية عن الأول ، جاء تلبية لظروف الحياة الطبيعية هناك.

وتعتبر علامة يرجع إليها البنّاء أو صاحب الدار المنهدمة ، أو الذي يريد إعادة بنائها فهو ملزم بها أينما وجدها ، كونها المحدد للمدخل ولا يمكن الحيد عنها قيد أنملة أو تغييرها مثلما يذهب إليه الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد .

- الفتحات و النوافذ :

بالنسبة لاستحداث الفتحات فإنه لا يحدث أحد نافذة مهما كان حجمها إلا بمشورة من الجيران لتحديد المكان الذي يمكن أن تحدث فيه، بحيث يمنع تقابل النوافذ أو فتحها مباشرة على أملاك الغير، وفي حال فتحها على الأفنية الخاصة أو الشوارع العامة لكن مقابل أملاك الغير يجب سترها بستائر عبارة عن صفائح من التمشمت أو غيرها من المواد و الأشكال التي تنسجم مع العمارة المحلية، أو يأذنون له بفتحات مناسبة بمحاذاة السقف بحيث لا يمكن لأحد أن يطلع منها على أملاك الجيران مهما حاول لأن السقف يحده، وكل هذا حتى لا يؤذي الآخرين بالكشف عن حرماتهم فللمنزل حرمته المرعية.

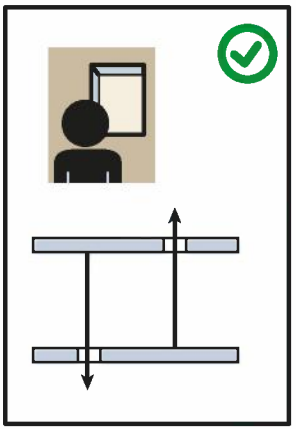

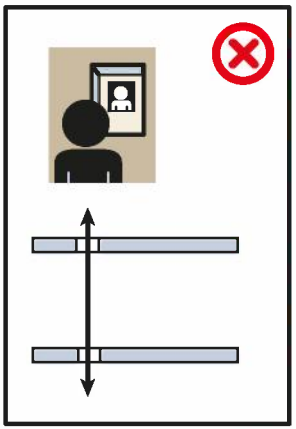

- الميازيب :

أو ما يطلق عليه محليا «سوفير» أحد أهم العناصر في المسكن التقليدي بالنظر إلى الوظيفة المنوطة به وما ينجر عنه من علاقة فيما بين المسكن ومحيطه ، حيث تخصص الميازيب لصرف مياه الأمطار من على السطح إلى الخارج(1) ، وهي تصنع إما من الفخار أو الحجر المنحوت ونادرا ما تصنع من خشب النخيل، أو تكون عبارة عن ساقية شاقولية على جدار الواجهة.

في حال إرادة صاحب المسكن إحداث ميزاب لبيته على الطريق ، سواء كان شارعا للعامة أو الخاصة فإنه لا يجوز له ذلك إلا ما كان قبل ذلك ، ولا يحدث على بيت غيره (2) ولا على ما يضر فيه غيره، وإذا ما أحدثه على زقاق لخاصة فسمحوا له وأذنوا له فله ذلك، وأصل كل ذلك دفع المضرة كأن يطيله فيصب في جدار واجهة المسكن الذي يقابله (3) ، أو مقابل ميزاب ثاني فلا يجد المار سبيلا للعبور بينهما (4)، وإذا كان له ميزاب فلا يزيد إليه آخر (5) وله أن يرجعه إذا نزعه ، ولا أن يوسعه بعد ضيقه (6) ولا أن يرفعه إذا كان أسفل قبل ذلك (7) ، ولا أن يطيله بعد قصره (8)، وأما أن يضيقه بعد سعته (9) أو ينزله بعد رفعه (10) أو يقصره بعد طوله(11) فله ذلك.

لا يجوز للجار الذي يجري غديره على سطح جاره أن يلحق به ماء الغسل أو أي ماء يضر جاره، بل يقتصر على ماء المطر فقط.

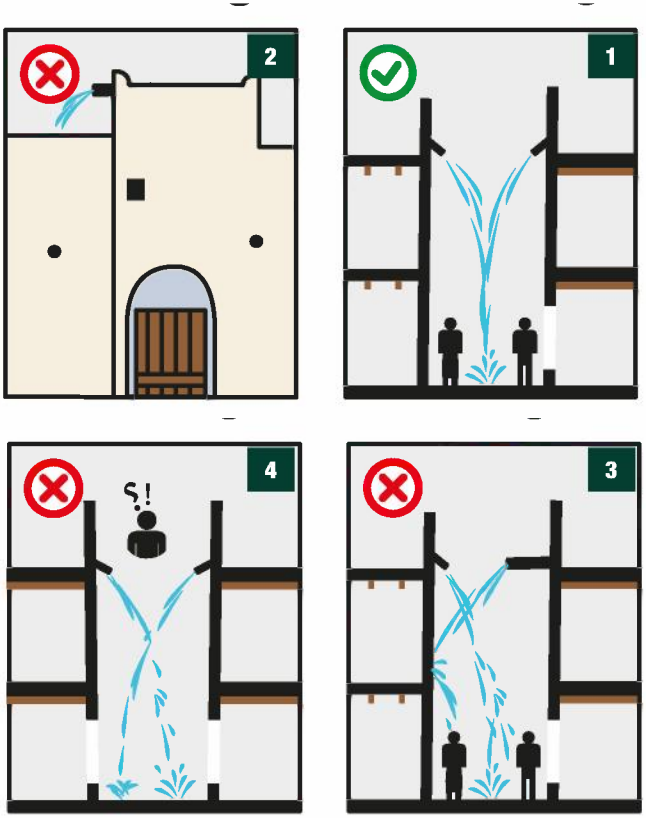

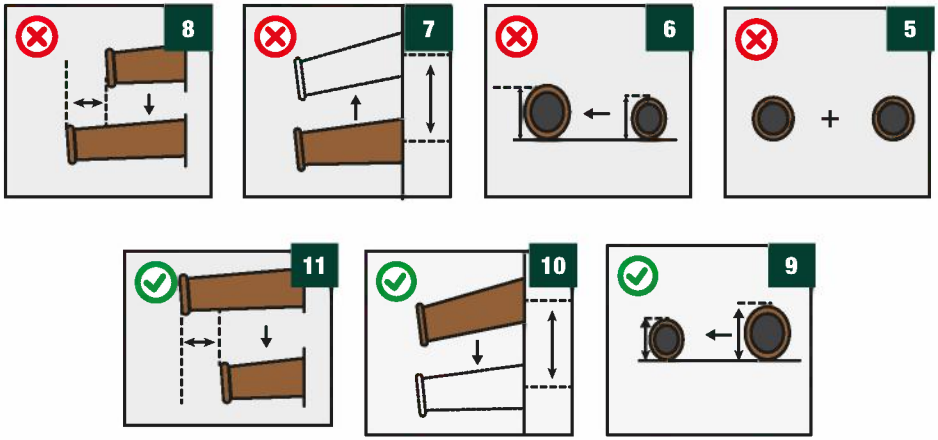

- الارتفاع :

تعتبر الحاجة أساس بناء المساكن في ميزاب ، فلا توضع مقاييس تزيد عن حاجة ساكنيها، فكل الفضاءات خضعت لهذه القاعدة خاصة ما تعلق منها بالارتفاع الأمر الذي انعكس مباشرة على الارتفاع الكلي للمسكن، وما تجدر الإشارة إليه أن طبيعة المواد المستعملة ومقاومتها لم يكن لها تأثير كبير في تحديد العلو، بل خضعت لمبدأ عدم الإسراف والتبذير، والمساكن في الغالب مؤلفة من طابق أرضي، طابق أوّل، وسطح، أي ما يعادل حوالي سبعة أمتار و نصف.

وقد سار العرف على ضوء القاعدة النبوية «لا ضرر ولا ضرار» (حديث شريف)، فمن ذلك منع كشف الجار لجاره «حرمة الجار»، كما يمنع أن يجعل الظل على جاره، أما منع الريح فيعود تحديد ذلك إلى الأمناء. و إذا أراد أحد السكان أن يبني دارا متصلة بالجيران حيث يتوجّب أن يرفع الجدار الموالي لجاره الجوفي على ماكان عليه في السابق يجب أن يكون ذلك بمقدار لا يحجب عنه الشمس القبلية، كما يحترم الارتفاع من الجهة الغربية حتى لاتحجب الشمس عن الجار الشرقي. و إذا رفع أحد جداره لستر سطحه لابد عليه أن يترك مسافة بقدر علو الحائط، أما في حالة ما وجد زقاق بينهما فلا حرج في ذلك، و لا حق للجار في استغلال المساحة المتروكة إلا أن ينتفع بوضع الحطب فيها على أن لا يحجب الشمس عن جاره.

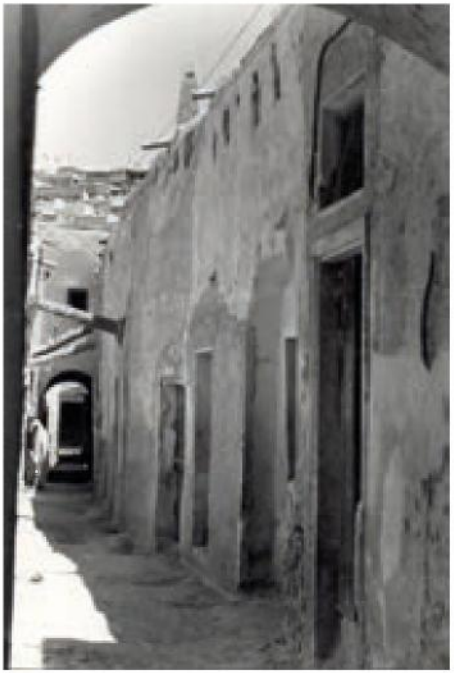

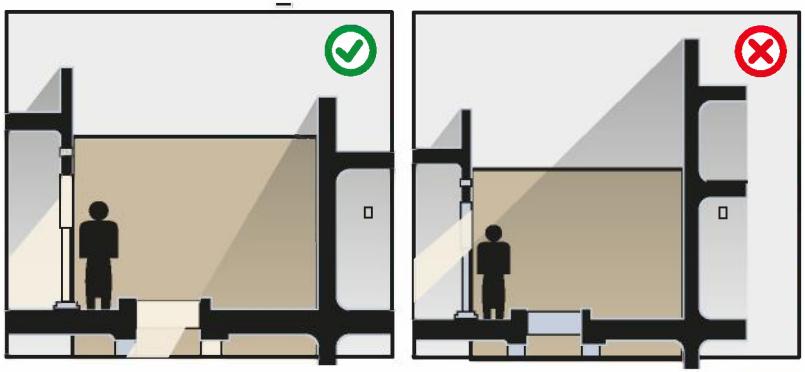

- الحائط بين جارين :

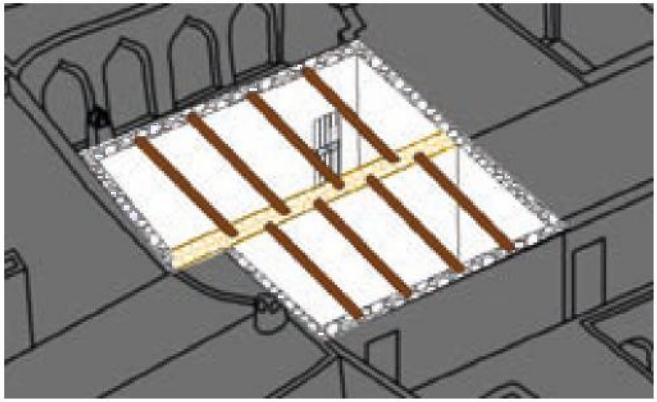

حظي الجار باحترام كبير في الإسلام و على هذا سار المجتمع الميزابي، فشمل الأمر كل التفاصيل بين الجارين حتى تعرّض لأدق تفاصيل العمارة بينهما، ومن ذلك الجدار الفاصل بينهما، فمثلا لو بنى أحدهما هذا الجدار وبنى إلى جانبه جاره فالحائط الذي بينهما لمن بناه، و إن اشتركا فيه فهما فيه سواء، وإن لم يعرف من بناه منهما فهما فيه سواء.

إذا كان الحائط مشتركا بينهما فإنهما يمنعان من الزيادة فيه وكذا النقصان منه إلاّ بالتراضي، ويمنعان من جعل الأوتاد فيه أو الخشب عليه، أو يتّخذ فيه مستراحا، أما إصلاحه فلا يمنع منه أحد منهما كأن يطيّنه ويبني ما انهدم منه، وإن مال على أحدهما فللذي مال عليه نزعه ولا يمنعه جاره، وإن حدث به شق يصلحانه معا و إن لم يكن إصلاحه إلا بهدمه فهما فيه سواء، كما يمنع على المشتركين في حائط أن يتخذ فيه الدرج إلا إذا لم يلتصق الدرج بالحائط ويترك بينه وبين الجدار مقدار ما تدخل فيه يد الباني.

- المسكن والسكة :

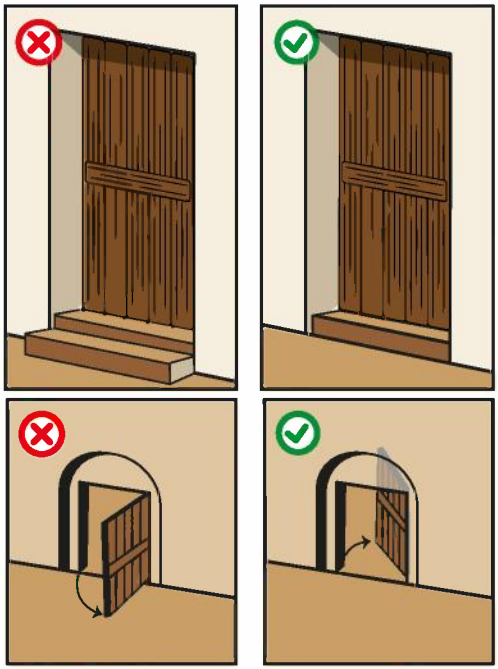

عند إنجاز المداخل يمنع إخراج الدرج إلى الطريق كما يجب فتح دفّة الباب أو النافذة نحو الداخل.

من كان له دار في شارع العامة أو بيت فله أن يحدث لها أبوابا حيث شاء إلا أنه لا يضر جاره ولا يقابل بابه باب غيره، وأما السكة النافذة للخاصة أو غير النافذة فلا يحدث بعض من فيها بابا أو غيره، إلا بإذن أهلها كلهم سواء الذين في سطره أو الذين في السطر المقابل، و سواء كانوا في أول السكة أو في آخرها أو وسطها، ولا يجوز إحداث سقف أو تغطية سكة للخاصة إلا بإذنهم، والحال ذاته بالنسبة لمربط الدابة، كما يمنع بعضهم بعضا من توسيع البناء إليها حتى وإن كانت واسعة أو كان فيها موضع زائد، ويجوز لصاحب المسكن التسقيف على الطريق العامة إذا كان لا يضر بالناس وكذا لا يضر بالراكب على أرفع الدواب.

أما إذا اتسعت السكة وكانت كالرحبة لم يمنع بعض أهلها بعضا من إحداث الأبواب والعمارة إلا ما يضر جاره ولا يمنع بعض أهل السكك بعضا من تطويل الحيطان إلا إن كان فيها ميلان على جيرانه أو تخوّف من وقوعه أو جعل الظل عليهم.

- المسكن والنشاطات الأخرى :

للجيران الحق في منع من أراد أن يتخذ من بيته فندقا أو حوانيت ، أو بيت رحى أو حمام أو معصرة أو مجمعا أو سوقا أو أراد مجلسا قدام غيره، ومن أحدث تنّورا بجنب الطريق وأذى الناس بدخانه ولهبه وتحقق منه الضر أزاله ولو كان قديما، ومن اتخذ رحى في بيته فتأذى منها جاره فان نظر العدول أن فيها ضررا عليه أزالها.

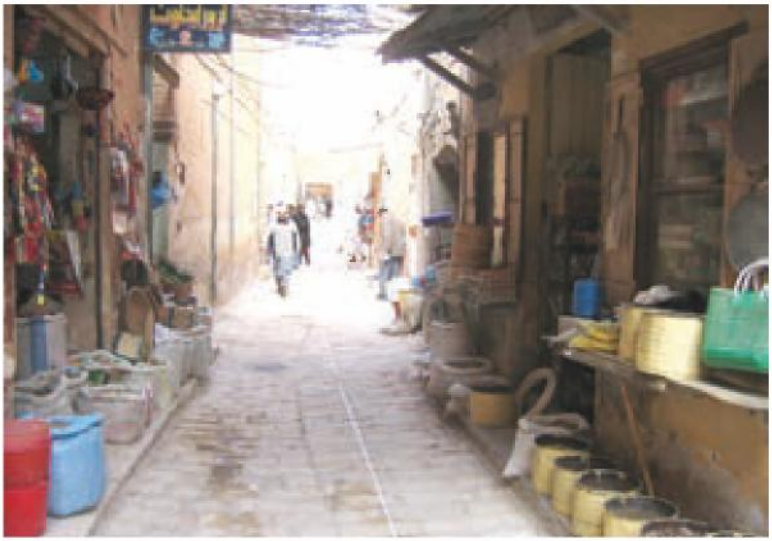

لا يسمح داخل القصور إلا بالحد الأدنى من النشاط التجاري الذي يلبي الإحتياجات الأولية للسكان و يمنع أي نشاط يسبب الأذى أو الإزعاج داخل الأحياء السكنية

- الغراسة و الجار :

من أراد غرس نخلة أو شجرة فعليه ترك حريم لجاره مقداره أربعة أذرع وإذا ما تسرّبت مياه السقي إلى الجار فعليه غرم ما أفسدت.

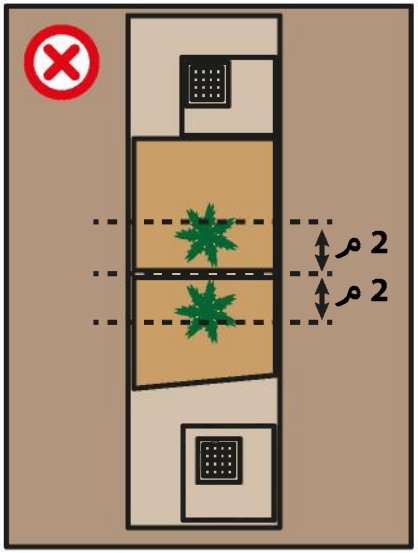

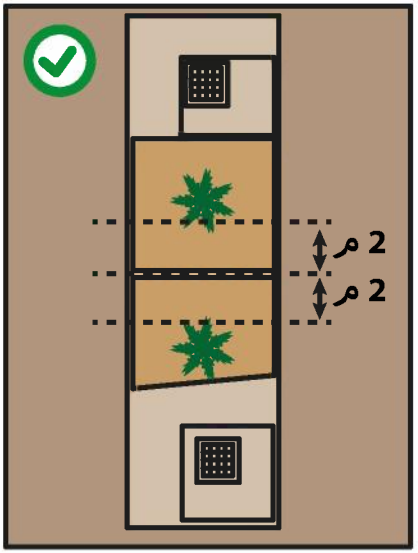

المراجع

الكتب

حاج سعيد يوسف، تاريخ بني ميزاب: دراسة إجتماعيه و إقتصادية و سياسية
أسامة النحاس، عمارة الصحراء: دراسة مقارنة بين واحة سيوة بمصر و واحة ميزاب بالجزائر

Brahim Benyoucef, Le M'zab, espace et société
André Ravereau, Le M'Zab, une leçon d'architecture
Didillon et Donnadieu, Habiter le désert, Maison Mozabites

المذ كرات و الأطروحات الجامعية

التريكي و بوزيد، المعمار و الممارسة الإجتماعية: ميزاب بين الماضي و الحاضر - 1989
لالوت باحمد و موسى المال باحمد، تجمع سكني بمنطقة بلغنم غرداية - جوان 1999

Safia Tabari, Le musée de temps pour le musée de l'espace; la valée du M'zab

الصور، المخططات و تقارير من ديوان حماية وادي ميزاب و ترقيته

مراجع خاصة بالعرف

أبو العباس أحمد بن محمد الفرسطائي، القسم و أصول الأرضين
محمد بن يوسف اطفيش ، مختصر العمارة
عبد الله نوح : النظم التقليدية العرفية بوادي مذاب
القرار البلدي رقم: 87 / 35 الصادر في 23 ماي 1987 من بلدية غرداية حول العرف التقليدي في البناء المعماري

إعداد:

لالوت باحمد
(مهندس معماري).

زعباب خضير
(ملحق الحفظ).

إشراف:

بابانجار يونس
(مهندس معماري- مدير ديوان حماية وادي ميزاب و ترقيته).

ديوان حماية وادي ميزاب و ترقيته

عملت هذه المؤسسة منذ نشأتها سنة 1970 تحت إسم "ورشة الدراسات والترميم لوادي ميزاب"، وبعد ترقيتها سنة 1992 إلى "ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته" ومازالت تعمل تحت وصاية وزارة الثقافة، على إعلام وتحسيس المحيط بضرورة مشاركته في الحفاظ على هذا الموروث الحضاري كعنصر أساسي من عناصر التنمية المستدامة، والمحاولة الجادة لتقريبه للمواطن وذلك بالعمل على محاولة اكتشاف مكنوناته وإدراك أهميته والتعريف به، ثم السهر على المحافظة عليه من خلال عمليات الترميم المختلفة، والسهر على تثمينها والاستفادة منها طبقا للنصوص التشريعية الصادرة في هذا الإطار

شارع الجزائر، غرداية ، الجزائر

الهاتف : 54 55 28 29 (0) 213+

الفاكس : 48 52 28 29 (0) 213+

البريد الإلكتروني opvm@m-culture.gov.dz

www.opvm.dz